بُحًّا حناجرها هُدْلا مشافرها تسيم أولادها في قرقر ضاح[1]
هبت جنوب باولاه ومال به أعجاز مزن يسح الماء دلاح[2]
فاصبح الروض والقيعان ممرعة من بين مرتفق فيه ومنطاح[3]

سيأتي الكلام على بقية الطبقات

تونس

اطلعنا في جريدة الحاضرة الغراء على الخطاب الذي القاه الوزير المقيم العام (الفرنسوي) لاعضاء الجمعية الشوروية الفرنسوية في مأدبة أدبها لهم في «دار السفارة» وقد وصفته الحاضرة بانه موضح للمحجة التي سلكتها ادارة الحماية في ذلك القطر ويصح ان يكون معياراً لها في الظروف الحالية. فرأينا ان نثبت في جريدتنا عيونه ليقف عليها من لم يعرف سير الفرنسويين في ذلك القطر فنقول

بدأ جناب الوزير كلامه بعبارات الابتهاج بخصب القطر التونسي في هذا العام إثر جدب سابق ثم قال «وقد لحق الخصب بالتجارة لفضاضة

---

(١) الهدل المسترخية وتسيم ترعى والقرقر الارض المطمئنة اللينة والضاحي البارز والضرب تشبه السحب بالنوق قال ابن دريد في المقصورة

لم تر كالزن سواما بهلا تصبها مرعية وهي سدى

(٢) صفة لمزن والدلاح الكثير الماء ومثله الدلوح والدلع المشي بتثاقل والسحاب الممتلئ بالماء يتخزل في سيره تمهلا أي يسير بطيئاً (٣) المرتفق فيه المجلوس ليرتفق به وارتفق الاناء امتلأ والمنطاح السائل لم يكن له ما يمسكه

مغرسها وقلة الرميات (كذا) ولذلك يتأكد علينا ان نعلق الامل على تنقيح قانون ١٨٩٠ الكمركي لاحداث صناعات وجلب الاموال وتحرير مصالحنا التجارية من قيود المعامل العمومية (الاجنبيه) التي نستمد منها المصنوعات . ولقد قاومتم بشهامة تيار الرياح المضادة واقمتم برهانا جديداً على حياة الامة الفرنسوية بالايالة التونسية »

ثم ذكر من مودته لهم وان على فرنسا ان تفتخر بهم وبين العلة بقوله «ذلك انكم جبلتم على سداد الافكار ولم تنقادوا لتلك الاميال الناشئة عن عدم التبصر التي تحير وجه قطرنا بدون ان تبلغ طبقاته العميقة (ماهي تلك الاميال والطبقات العميقة يارى) ولقد لازمتم الرزانة اثناء انبثاق البغضاء بين الاجناس وهو أثر من آثار السلف السابق والقرون الخالية دفعته ريح عاصفة من اصقاع فرنسا والجزائر (تأمل) ولما ظهرت باقسام الحاضرة التونسية الاهلية شائبة الاضطراب أمكن بتمام سداد آرائكم اخماد تلك الشرارة في يومين ولولا ذلك بان تفتختم في رمادها لتسعرت نيرانها (وهل ذلك من شأن أمثالهم ؟ نعم اذا اقتضه السياسة) فاشكركم على موازرتكم للحكومة واعانتكم لها على ابلاغها مقصودها

« ومن علامات السعادة في هذا القطر خلوه من المحترفين بالسياسة وهم أناس انحصرت اسباب تعيشهم في السياسة وان شئت قلت في الصخب والجلبة والنفير (كذا) والعبارات الخالية من المعاني والرشوة في الانتخاب فالناس كلهم في هذه الديار منكبون على الشغل فاعضاء الجمعية الشورية مثلا كل منهم له حرفة وصناعة وكل منهم يتكلم بخصوص مصالح مهمة اتقن معرفتها ودرس اسرارها (هكذا فليكن) وهو ما يستحيل تصوره في جهة اخرى نفق فيها سوق السياسة »

ثم فضل الخطيب الفرنسويين في ايالة تونس على أمثالهم في نفس فرنسا ودفع مايرمون به من قلة السعي والحزم بانهم أسسوا مدنية حادثة بجميع فروعها في اقطار مهملة ومن قلة الشركات بان الشركات ملأت الطبقات ثم ذكر ان القطر التونسي قامت فيه الادارة باعمال جسيمة بقليل من من الموظفين الفرنسويين وبان الحكومة والنزلاء على وفاق اذا تنازعا فبمجرد الفراغ من المناقشة يتصافح المتنافسون . يرد بذلك على من يقول ان الفرنسوي ميال للوظائف لاجل الراحة وان عادة الفرنسويين مناصبة الحاكم للمحكوم . ثم قال

« واحكم في ختم هذه البدع الجليلة (كذا) على نبذ التحزب الفاشل (لعله يريد الموقع في الفشل) بمعنى ترك التعصب الأعمى على بقية الاجناس والملل المتمدنة (تأمل) فان طلبتم منا الثبات والحزم فاطلبوا منا أيضاً الانصاف مع أبناء البلاد ولا تصدموا عن فرط تسرع كدرا لا يدوم الا كما يدوم السحاب (هكذا) فلا تستنجوا من سرقة اعرابي بقرة مؤامرة عموم المسلمين (انظر الى هذا الافراط في الحذر) ولئن لحقكم الاذى من جهل بعض المسلمين أكثر من مكرهم فلا تلومونا على السعي في تنوير عقولهم بأنوار المعارف ولكن لا تسألونا الصرامة والحدة أكثر مما أنتم عليه معهم . — ولقد أصبحتم قائمين في هذه الديار بمهمة حفت بالمشاكل ولكنها كللت بالمفاخر وأسست على دعامة التمدن حساومعنى تلقاء التربة والنوع البشري بخلاف المعمر في أقطار أميركا واستراليا فان همته انما صرفت الارض خاصة لا لتثقيف العقول وتهذيب النفوس وحضارة أمة شريفة النسب جليلة المدنية وتمدينها بلبان الحضارة الفرنسوية حتى

يكون افرادها من أعوانكم طبعا (لينظر الجهلاء المنكرون فوائد التربية والتعليم وان عليهما مدار العمران) فكل عمل من أعمال يدنا ونساهلنا يكون موضوع تأويل وشروح لا تحصى فهو بمنزلة حبة تسفيها الرياح وربما أنبتت سنابل في شاسع الاقطار كاقطار بحر السودان وبحيرة تشاد وفي كل مكان خفق فيه العلم الفرنسوي ازاء العلم الاسلامي المهلل (كذا في الاصل ومعناه المتقوس أي المنحني ولعل مراده المهلهل أي الرقيق !!) فتلك مأمورية جديرة بفرنسا الكريمة البارة التي هي أقل أمم أوربا أثرة بالمصلحة وأحسنهن خبرة بكشف غوامض أسرار تلك الاقاليم المجهولة وأكثرهن تحقيقا للعلوم وأعلاهن كلمة وأوفرهن رغبة !!

«أيها السادة طوبى لمن جبل على الخير، وأشفق على الغير، وتوجع حنانا لمن لحقه الضير، وتنازل تواضعا لسماع نداء الفقير، وتلقى شكاية الجاهل الحقير، وويل لمن غرته علياؤه، وعجبه وخيلاؤه، ففي التواضع قوة عظمى تمتد بها الكلمة ويعلو بها الشأن وربما عاد ذلك بأخذ الثار في مستقبل الاجيال فانه وان حالت ظروف تاريخية لاتخفى دون مساعينا في الاستعمار المبني على حب الاثرة والانانية وهو الاستعمار الذي قوامه القوة المادية فلا غرو ان كان تقدمنا في افريقيا وآسيا ناتجا عن خصال يشاركنا فيها محالفونا الروس وهي حسن المعاشرة وكرم الاخلاق اه (انظر الى غرضه من نصائحه وحثه على التساهل والتواضع ترى انه حسن الذكر المساعد على امتداد السلطة في شعوب داخل افريقية المسلمين) .

ثم ذكرت جريدة الحاضرة القراء ان أعضاء الجمعية أدبوا مأدبة فاخرة للوزير عمدة الجمهورية وعند ادارة كؤوس المدام بعد تناول الطعام ألقى كاتب سر

اللجنة خطابا اثنى فيه على جناب الوزير بأعماله المفيدة للنزلاء لاسيما «حل مسألة الكمارك المهمة الدالة على تأييد مبدأ الحماية» و «بنيابته بترقي شبان التونسيين في مدارج المعارف بما تقتضيه ضروريتهم» فأجابه الوزير عن ذلك بخطاب قال فيه

«ولقد سررت جداً اذ رأيت كاتب سر الجمعية أبدى ملحوظات فائقة في شأن تهذيب الاهالي وتثقيف عقولهم بالمعارف فان تلك الملحوظات موافقة كمال الموافقة لمقاصد الحكومة ولرغبة جميع أهل الصلاح من المسلمين فانهم على رأينا في عدم استحسان ترشيح من لم تستكمل معارفهم فيشردون وهم أناس نبذوا عوائدهم وعقائدهم فأصبحوا من سقط متاع الاوربايين . وجمهور القوم متمسكون بدينهم ولهم الحق أن يتمسكوا به ونحن على رأي أكثرهم معرفة واستنارة في ان هذا الدين لم ينه عن تحصيل المعارف الثابتة وعلوم التحقيق . اما صرف وجهة المسلمين في التهذيب للصنائع النافعة فيمكن أن يقال انه من شواغل مدير العلوم والمعارف . اما الاوامر الصادرة في معاوضات واكرية الاوقاف فهي حديثة عهد بالصدور ولا يمكن الحكم عليها الآن بل لابد من كرّ الزمان للتأنس بالعمل بهذه الطريقة الجديدة على اننا نلقى باهتمام كل تحسين وتنقيح جزئي يرد لنا في هذا الخصوص بشرط أن لا يمس ذلك بجوهر هذه المصلحة الدينية» اه ما أردنا نشره محافظين فيه على الاصل في الاكثر كما رأيت